فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانتم فاعنه
وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستشفع لي قوله او كفورا في او هذه
اوجه احدها انها على بابها وهو قول سيبويه قال ابو البقا
في النهي عن الجميع لانك اذا قلت في الاباحة جالس الحسن او ابن سيرين كان
التقدير جالس احدهما فاذا نهى قال لا تكلم زيدا او عمرا فالتقدير لا تكلم احدهما
كانهما كلمة كان احدهما فيكون ممنوعا منه فكذلك في الاية ويؤول المعنى الى
تقدير ولا تطع منهما اثما او كفورا فالتقدير لا تطع احدهما واذا قيل
لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما هو عن طاعتهما احدهما هو عن
طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهى ان يقول لابيه اف علم انه منهي عن ضربهما
على طريق الاولى الثاني انها بمعنى لا اي لا تطع منهم اثما ولا كفورا قال مكي
وهو قول الفرا وهو بمعنى الاباحة التي ذكرنا الثالث انها بمعنى الواو وقد
تقدم مرارا ذلك قول الكوفيين والكفور وان كان يستلزم الاثم الا انه عطف
لاحد امرين اما ان يكونا شخصين بعينهما كما تقدم فالاثم عتبة والكفور
الوليد واما ما قال الزمخشري فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة
في قوله اثما او كفورا قلت معناه لا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه
او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل
هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون
الثالث فصل قال ابن الخطيب قوله فاصبر لحكم ربك يدخل
فيه ان لا تطع منهم اثما او كفورا ولان ذكره بعده تكرارا والجواب ان الاول
امر بالمامورات والثاني نهي عن المنهيات ودلالة احدهما على الاخر بالالتزام
لا بالتصريح فيكون التصريح به مفيدا فان قيل انه صلى الله عليه وسلم ما
كان يطيع احدا منهم فما فايدة هذا النهي فالجواب ان المقصود بيان
ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد لاجل ما تركب فيهم
من الشهوة الداعية الى الفساد وان احدا لو استغنى عن توفيق الله تعالى
وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم عليه الصلوة والسلام
ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم انه لا بد من الرغبة الى الله تعالى والتضرع
اليه ان يصونه عن الشبهات والشهوات فان قيل ما الفرق بين الاثم
والكفور فالجواب ان الاثم هو الاتي بالمعاصي اي معصية كانت
والكفور هو الجاحد للنعمة فكل كفور اثم وليس كل اثم كفورا لان الاثم
عام في المعاصي كلها قال الله تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما
فسمى الشرك اثما وقال تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال
تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فدلت هذه الايات
على ان الاثم جميع المعاصي قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
اي صل لربك اول النهار واخره ففي اوله صلوة الصبح وصلوة الظهر والعصر
وهو الاصيل ومن الليل فاسجد له يعني صلوة المغرب والعشا الاخرة وسبحه
ليلا طويلا يعني التطوع فيه قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان
كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق سوا كان في الصلوة
او في غيرها وقال ابن زيد وغيره ان قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا منسوخ
بالصلوات الخمس وقيل هو ندب وقيل هو مخصوص بالنبي عليه الصلوة
والسلام وجمع الاصيل الاصايل والاصل كقولك سفاين وسفن والاصايل
جمع الجمع ودخلت من على الظرف للتبعيض كما دخلت على المفعول
في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قوله وسبحه فيه دليل على عدم قول
بعض اهل المعاني والبيان ان الجمع بين الحا والها مثلا يخرج الكلام عن

فصاحتها

فصاحتها وجعلوا من ذلك قوله
كريم متى امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي
البيت لابي تمام ويمكن ان يفرق بين ما انشدوه وبين الاية الكريمة بان
التكرار في البيت هو المخرج عن الفصاحة بخلاف الاية فانه لا يكثر فيها
قوله ان هولا يحبون العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة
الدنيا واعلم انه تعالى لما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم
والامر والنهي عدل الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى ان هولا
يحبون العاجلة ومعناه ان الذي حمل هولا الكفار على الكفر والاعراض
عما ينفعهم في الاخرة وهو محبتهم اللذات العاجلة والراحات الدنيوية
البدنية قوله ويذرون وراءهم اي بين ايديهم وقال وراءهم
ولم يقل امامهم لوجوه احدها انهم لما اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه
فكانهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها ان وراء يستعمل بمعنى قدام كقوله
تعالى من ورايه جهنم وكان وراءهم ملك وقال مكي سمي وراء لتواريه
عنك فظاهر هذا التحقيقة والصحيح انها تستعمل لقدام قوله
يوما مفعول بيذرون لا ظرف ووصفه بالثقل على المجاز لانه من صفات
الاعيان لا للمعاني وقيل معناه يتركون الايمان بيوم القيمة وقيل
نزلت في اليهود وفيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة
نبوته وحبهم العاجلة اخذهم الرشا على ما كتموه وقيل اراد المنافقين
لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا والاية تعم وسمي ثقيلا لشدايده واهواله
وقيل للقضا فيه بين العباد قوله نحن خلقناهم اي من طين
وشددنا اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل
وغيرهم والاسر الخلق قال ابو عبيد يقال فرس شديد الاسر اي
الخلق ويقال اسره الله اذا شدد خلقه قال لبيد
ساهم الوجه شديد اسره مشرف الحارك محبوك الكتد
وقال الاخطل
من كل مجتنب شديد اسره سلس القياد تخاله مختالا
وقال ابو هريرة والحسن والربيع رضي الله عنهم شددنا مفاصلهم
قال اهل اللغة الاسر الربط ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد والوثق
ماسوره بالعقب والاسار هو القد الذي يشد به الاقتاب تقول
اسرت القتب اسرا اي شددته وربطته فصل قال ابن زيد
الاسر القوة والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين
قابلوها بالمعصية اي سويت خلقك ثم انت تكفرني قال
ابن الخطيب وهذا الكلام يوجب عليهم طاعة الله تعالى من حيث
الترغيب والترهيب اما الترغيب فلانه هو الذي خلقهم واعطاهم
الاعضا السليمة التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة وخلق لهم
جميع ما يمكن الانتفاع به فاذا احبوا اللذات العاجلة وتلك اللذات
لا تحصل الا بالمنتفع والمنتفع به وهما لا يحصلان الا بتكوين الله
وايجاده وهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد واما
الترهيب فانه قادر على ان يميتهم وان يسلب النعم عنهم وان يلقيهم
في كل محنة وبلية فلاجل الخوف من فوت هذه اللذات العاجلة يجب
عليهم الانقياد لله تعالى وترك التمرد فكانه قيل هب ان حبكم لهذه
اللذات العاجلة طريقة حسنة الا ان ذلك يجب عليكم الايمان بالله
تعالى والانقياد له فلو توسلتم به الى الكفر بالله تعالى والاعراض عن حكمه

Copyright King Saud University